

المؤتمر الثالث لمنظمة المرأة العربية
"المرأة العربية شريك أساسي في مسار التنمية المستدامة"
2010 /10 /30 -28

مشاركة المرأة العربية في صياغة المعرفة العلمية ضمان لتحقيق الاستدامة البيئية

أم كلثوم بن حسين
أستاذة بجامعة تونس المنار/ تونس

- إنّ مفهوم التنمية المستدامة الذي اعتمده، هو مفهوم ثلاثي الأبعاد يشتمل على:
- بعد اجتماعي يهدف إلى تلبية احتياجات الإنسان والاستجابة إلى تطلعات العدالة والانسجام الاجتماعي.
 - بعد اقتصادي يهدف إلى تحقيق النمو والنجاعة الاقتصادية.
 - بعد بيئي يهدف إلى المحافظة على البيئة، والموارد الطبيعية، وتحسينها، وتأمينها، من خلال رؤية بعيدة المدى.

لكنّ الرهان الحقيقي للتنمية المستدامة هو تأسيس مقاربة مدمجة لهذه الأبعاد، التي يمكن أن تمثل بثلاث دوائر

متقاطعة، تمثل فيها منطقة التقاطع المشترك التنمية
المستدامة.

لذلك، فإنّ مفهوم التنمية المستدامة يستوجب في حدّ
ذاته الإدماج المنسجم بين النمو الاقتصادي والتقدّم
الاجتماعي والواجب الإيكولوجي. ويستوجب هذا الإدماج
بدوره صياغة معرفة علميّة، يشارك فيها الرجال والنساء في
جميع البلدان، تستدعي تطوير العلوم، والتكنولوجيا، والبحث
العلمي، والتحديث، بمشاركة كاملة للمرأة.

فالعلم، والتكنولوجيا، في الواقع، يلعبان دوراً أولياً، في
مجالات الطاقة المتجددة، والزراعة التي تحترم البيئة،
والبناء الإيكولوجي، والتهيئة العمرانية، والبيداغوجيا
الإيكولوجية، واحترام علاقات التعاون فيما يتعلق بالقضايا
الكونية الكبرى كالتغيرات المناخية والانحباس الحراري
والغزو البيولوجي.

ومما لا شكّ فيه، أنّ العلوم بحاجة دائمة إلى بحث
علمي متقدّم، ومنتج للمعرفة العلمية، ومطوّر للتكنولوجيا.

وهذا البحث العلمي مرتبط، في الأساس، ارتباطاً وثيقاً بتعليم عال ذو جودة، ومواكب للتطورات الحاصلة في العلوم، بنفس القدر الذي يبدو فيه إنتاج المعرفة مشروطاً بالبحث العلمي.

إنّ تقدّم العلوم والتحديث التكنولوجي، يوفران حتماً، المعرفة العلمية للمشاكل، وصياغة الحلول، وابتداع الأجوبة التقنية الجديدة.

لكن هذا التقدم مرهونٌ بضرورة مشاركة فعالة للمرأة في إنتاج المعرفة العلمية، وهو ما يستوجب تكويناً علمياً وتكنولوجياً يضمن التكافؤ والعدالة في الفرص، والتوازن في الالتحاق بالاختصاصات، وفي التخرج.

ويكون هذا التكوين ملائماً بشكل تام، لضرورات واحتياجات الاستدامة البيئية، ومشروطاً ببحث علمي، ينجزه الرجل والمرأة بالتساوي، ويسمح، من خلال تنفيذ الأفكار المبلورة، والنتائج المتحصل عليها ميدانياً ومخبرياً، وكذلك التطبيق " الذكي " لتكنولوجيات المعلومات والاتصال، بإيجاد حلول ملائمة لحماية التنوع البيولوجي، والتصرف المستدام

للموارد الطبيعية، والأنظمة البيئية، وزيادة النجاعة في الطاقة، وتطوير تقنيات نظيفة وتقنيات خضراء، وتحسين ظروف الحياة للسكان، وخاصة في الريف، وتقليص الفقر، ومكافحة التلوث، وكل أنواع المخاطر والإزعاج، وآثار التغيرات المناخية، والتصحر البري والبحري.

ولكنّ الدراسات أظهرت وجود بون شاسع بين ارتفاع عدد الطالبات في الجامعات العربية، وبين درجة انخراطهنّ في البحث العلميّ والعلوم الصحيحة والعلوم التقنية. وحتى بالنسبة للاتي ينخرطن في العلوم والبحث العلمي فإنهنّ يتوقفن عن عمليّة البحث والابتكار حال حصولهن على شهادة الدكتوراه بسبب الدور العائلي والاجتماعي للمرأة، إضافة إلى افتقار الجامعات ومراكز البحث العربية إلى مؤسسات مساعدة من مطاعم ومحاضن ورياض للأطفال.

فلو وضعنا رسماً بيانياً يعتمد على نسب ورُتب الذكور والإناث للمدرسين الباحثين في الجامعات العربية لحصلنا على رسم في شكل مقص يسمّى الرسم المقصّ أو السقف البلّوري وهذا بالنسبة لكلّ المجالات العلميّة.

ففي علوم الحياة حيث العدد الأكبر للنساء المنخرطات في العلوم تفوق نسبتهن في بعض الجامعات العربية في رتبة معيد ال 80% وتنخفض هذه النسبة تدريجياً في رتب أستاذ مساعد وأستاذ محاضر لتبلغ 13% في رتبة أستاذ في أحسن الظروف، بينما العكس هو بالنسبة للرجال الذين لا تتجاوز نسبتهم في رتبة معيد ال 20% لترتفع إلى حدود ال 90% في رتبة أستاذ.

هذه المفارقة تفرض اعتماد مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة في مسألة ارتياد دراسة العلوم والبحث العلمي، والارتقاء إلى أعلى المستويات الجامعية، في مجالات العلوم والتكنولوجيا بهدف الاستعانة بكافة طاقات الإبداع والخلق، والاستفادة من مخزون مهارات المرأة العربية في العلوم والتحديث.

في الواقع، إن المرأة، من حيث دورها الاجتماعي في التربية، والرعاية الصحية، والعناية بالآخرين، ونقل الثقافة إلى الأجيال، والمحافظة على محيط سليم، تعتبر حاملة وحامية للسلم وللبيئة.

وفي هذه الحالة، فإنّ مشاركتها الكاملة في المجالات العلمية والتكنولوجية، تسمح، ليس فقط في زيادة القدرات العلمية البشرية للبلدان العربية، الأمر الذي يعكس، بلا شك، آثاره الإيجابية الهامة على عملية التنمية والتطور، ولكن أيضاً، تضيف تنوعاً كبيراً على صياغة المعرفة العلمية، وفي تحديد موضوعات البحث العلميّ، وتمكن من وضع معايير أخلاقية جديدة للعلوم والتكنولوجيا.

إنّ الإدماج والاندماج المتكافئ للمرأة العربية في العلوم، ومساهمتها في صياغة المعرفة العلمية والتكنولوجية، إذن، أساسيّ للوصول إلى تنمية بشرية مستدامة وعادلة.

وبالنتيجة، فإنه لن تكون هناك تنمية ناجحة اقتصادياً، ومتكافئة اجتماعياً، وحررة إيكولوجياً، بدون مشاركة كلية وكاملة للمرأة على قدم المساواة مع الرجل، في إنتاج المعرفة العلمية والتكنولوجية وفي عملية التحديث برمتها.

إن هذه المشاركة المتكافئة للمرأة العربية ستسمح بالتوفيق بين ثلاث طموحاتٍ شاسعةٍ ووضعها في علاقة بنّاءة هي:

- تنمية الوسط المعيشي، أي كافة العوامل الفيزيائية والكيمائية والبيولوجية، التي تقيم معها الأحياء علاقات ديناميكية كالماء، والهواء، والأرض، وباطن الأرض.

- تنمية النمط المعيشي، الذي يدل على طريقة الوجود وأساليب العيش. ويشير إلى السلوك الاجتماعي، بما في ذلك المسائل الثقافية. وفيها نجد القيم الهامة التي تميز المجتمع والتماثلات الاجتماعية المركزية كالتربية والتعليم، والأمن، والصحة، والعدالة بين الأفراد أيّا كان الجيل الذي ينتمون إليه إلخ.

- تنمية المستوى المعيشي، الذي يشمل استخدام الموارد التي تحيط بنا، إنتاج الخيرات والخدمات، ونشاطات الاتصالات والتوزيع، وكذلك الأسواق الاستهلاكية.

وهكذا فإن التنمية المستدامة للدول العربية تستوجب تدعيم الثراء والتنوع العلمي والتكنولوجي بمشاركة فعالة

للمرأة والرجل على حدّ سواء، لأنّ التمييز في هذا المجال،
وفي كل المجالات، هو نفي لقيم التنمية المستدامة نفسها.

إنّ التنمية المستدامة، في النهاية، تتطلب الأخذ بعين الاعتبار رؤية المرأة لأولويات وأهداف التنمية، وذلك بشكل خاص في السياسات المتعلقة بالتربية، والعلوم، والتكنولوجيا، والبحث العلمي، والثقافة العلمية، والاتصال والإعلام، ودعمها بشكل واضح وملموس.